ضوابط

في

مُناظرة ومُجادلة

أهل الأهواء والبدع

قال أبو عبد الله عبيد الله بن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإبانة الكبرى"

[تحقيق عادل آل حمدان]

بعد أن ساق الأحاديث والآثار في ذم الجدال والمراء والخصومات:

٧٠٥- فإن قال قائل:

قد حذَّرتنا الخصومة، والمراء، والجدال، والمناظرة، وقد علمنا أن هذا هو الحق، وأن هذه سبيل العلماء، وطريق الصحابة رضي الله عنهم والعقلاء من المؤمنين والعلماء المُستبصرين، فإن جاءني رجلٌ يسألني عن شيءٍ من هذه الأهواء التي قد ظهرت، والمذاهب القبيحة التي قد انتشرت، ويُخاطبني منها بأشياء يلتمسُ مني الجواب عليها، وأنا ممن قد وهب الله الكريم لي علمًا بها، وبصرًا نافذًا في كشفها، أفأتركه يتكلم بما يريد ولا أُجيبه، وأُخلِّيه وهواه وبدعته، ولا أردُّ عليه قبيح مقالته ؟

فإني أقول له:

اعلم - يا أخي رحمك الله - أن الذي تُبلى به من أهل هذا الشَّأن لن يخلو أن يكون واحدًا من ثلاثة:

[الحالة الأولى]

١- إمَّا رجلًا قد عرفت حسن طريقته، وجميل مذهبه، ومحبته للسَّلامة، وقصده طريق الاستقامة، وإنما قد طرق سمعه من كلام هؤلاء الذين قد سكنت الشياطين قلوبهم، فهي تنطق بأنواع الكفر على ألسنتهم، وليس يعرف وجه المخرج مما قد بُلي به، فسؤاله سؤال مُسترشد متثبت يَلتمسُ المخرج مما بلي به، والشِّفاء مما أوذي، ظمآنٌ

إلى علمك حاجته إليك حاجة الصادي إلى الماء الزُّلال، وأنت فقد استشعرت طاعته، وأمنت مخالفته: فهذا الذي قد افتُرِضَ عليك توقيفه، وإرشاده، وكشف الشُّبهة عن قلبه، وإزالة الريب الذي خامر سرَّه حتى تخلِّصه من شبكةِ المُلحدين، وتنقله من حبائل كيد الشياطين.

وليكن ما ترشدُه به، وتوقفه عليه من:

١- الكتاب.

٢- والسُّنة.

٣- والآثار الصحيحة عن علماء الأُمَّة من الصحابة ﷺ والتابعين.

وكلُّ ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإياك والتكلُّف لما لا تعرفه، وتمحّل الرأي، والغوص على دقيق الكلام : فإن ذلك من فعلك بدعة، وإن كنت تريد به السُّنة، فإن إرادتك للحقِّ من غيرِ طريق الحقِّ باطل، وكلامك على السُّنة من غير السُّنة بدعة.

فلا تلتمس لصاحبك الشفاء بسقمِ نفسِك، ولا تطلب صلاحه بفسادك، فإنه لا ينصح الناس من غشَّ نفسه، ومن لا خيرَ فيه لنفسه، لا خير فيه لغيره.

فمن أراد الله : وفَّقه وسدده، ومن اتقى الله : أعانه ونصره.

٧٠٦- **سمعت** جعفرًا القافلائي، يقول: سمعت المروذي، يقول: سمعت أبا بكر بن مسلم الزاهد رحمه الله يقول، وقد ذكر يومًا المخالفين، وأهل البدع، فقال: قليلُ التقوى يهزمُ العساكر والجيوش.

٧٠٧- **حدثنا** أبو القاسم حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ابن عون، قال: سمعت محمد ابن سيرين ينهى عن الجِدالِ إلَّا رجلًا إن كلمته طمِعتَ في رجوعه.

٧٠٨- **حدثنا** أبو بكر أحمد بن محمد بن السَّري الكوفي، قال: حدثنا عبدالله بن غنَّام، قال: حدثنا أبو عمران موسى بن عيسى الخياط، قال: حدثنا إسماعيل ابن أبي الحارث، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن محمد بن النضر الحارثي، قال: قلت للأوزاعي: آمر بالمعروف ؟ قال: من يَقبل منك.

قال الشيخ:

٧٠٩- صَدَقَ الأوزاعيُّ رَحِمَهُ اللهُ، فهكذا قال عليُّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا إمرةَ لمن لا يُطاع [1].

فإذا كان السَّائل لك هذه أوصافه، وجوابك له على النحو الذي قد شرحته، فشأنك به، ولا تألُ فيه جهدًا، فهذه سبيل العلماء، وطريقة المؤمنين والعقلاء، ومذاهب الأئمة العلماء الماضين الذين جعلهم الله أعلامًا في هذا الدين، فهذا أحد الثلاثة.

---

(١) بيَّن المصنف رَحِمَهُ اللهُ المراد بقول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لا إمرة لمن لا يطاع) أي أنك لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر من لا يطيعك على ذلك، وليس في الأثر حُجَّة للخوارج في الاستدلال به على ترك السمع والطاعة للأمراء إذا خالفوا الشرع والسُّنة في أنفسهم ولم يأمروا الناس بذلك.
قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: أُصولُ السُّنةِ عندنا: .. والسَّمعُ والطاعةُ للأئمةِ وأميرِ المؤمنين البرِّ والفاجرِ، ومن ولِيَ الخِلافةَ، واجتمعَ الناسُ عليه، ورضوا به، ومَن غلبهم بالسَّيفِ حتى صارَ خليفةً، وسُمِّي أميرَ المؤمنين. اهـ [«الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة» (ص٣٥٣)].
وسيأتي زيادة بيان في الكلام عن هذه المسألة تحت أثر (٧٩٢).

الحالة الثانية

ورجلٌ آخر يحضرُ في مجلسٍ أنت فيه حاضرٌ، تأمن فيه على نفسك، ويكثر ناصروك ومعينوك، فيتكلم بكلامٍ فيه فتنةٌ وبليَّة على قلوب مستمعيه ليوقع الشَّكَّ في القلوبِ؛ لأنه هو ممن في قلبه زيغٌ يتبع المُتشابه ابتغاء الفتنة والبدعة، وقد حضر معك من إخوانك وأهل مذهبك من يسمع كلامه، إلَّا أنه لا حُجَّة عندهم على مقالته، ولا علمَ لهم بقبيح ما يأتي به، فإن سكتَّ عنه لم تأمن فتنته، وأن يُفسد بها قلوب المستمعين، وإدخال الشَّكِّ على المُستبصرين.

فهذا أيضًا ممن تردّ عليه بدعته، وخبيث مقالته، وتنشر ما علّمك الله من العلم والحكمة.

ولا يكن قصدُكَ في الكلام خصومته ولا مناظرته، وليكن قصدك بكلامك خلاص إخوانك من شبكته، فإن خبثاء الملاحدة إنما يبسطون شباك الشياطين ليصيدوا بها المؤمنين، فليكن إقبالك بكلامك، ونشر علمك وحكمتك، وبشر وجهك، وفصيح منطقك على إخوانك، ومن قد حضر معك لا عليه، حتى تقطع أولئك عنه، وتحول بينهم وبين استماع كلامه، بل إن قدرت أن تقطع عليه كلامه بنوعٍ من العلم تحوِّلُ به وجوه الناس عنه، فافعل.

٧١٠- **حدثني** أبو صالح، قال: حدثنا محمد بن داود أبو جعفر البَصروي، قال: حدثنا مثنى بن جامع، قال: سمعت بشر بن الحارث، سُئِل عن الرجلِ يكون مع هؤلاء أهل الأهواء في موضع جنازةٍ أو مَقبرةٍ فيتكلَّمون ويُعرِّضون، فترى لنا أن نُجيبهم ؟

فقال: إن كان معك من لا يعلم : فردوا عليه لئلا يرى أولئك أن

القول كما يقولون.

وإن كنتم أنتم وهم: فلا تُكلموهم، ولا تُجيبوهم.

فهذان رجُلان قد عرَّفتُك حالهما، ولخَّصتُ لك وجه الكلام لهما.

الحالة الثانية

وثالثٌ مشؤوم، قد زاغ قلبه، وزلت عن سبيل الرَّشاد قدمه، فعشيت بصيرته، واستحكمت للبدعة نصرته، فجهده أن يُشكِّكَ في اليقين، ويُفسد عليك صحيح الدين.

فجميع الذي رويناه، وكل ما حكيناه في هذا الباب لأجله وبسببه، فإنك لن تأتي في باب خُصُومته، ووجيع مكيدته أبلغ من الإمساك عن جوابه، والإعراض عن خطابه؛ لأن غرضه من مُناظرتك:

أ- أن يفتنك؛ فتتبعه فتهلك.

ب- أو ييأس منك؛ فيشفي غيظه بأن يُسمعك في دينك ما تكرهه.

فأخسئه بالإمساك عنه، وأذلِله بالقطيعة له [1].

(١) وقال المصنف رحمه الله في «الإبانة الصُّغرى» (٣٣١): وإياك والمِراءَ والجِدالَ في الدِّينِ؛ فإن ذلك يورثُ الغِلَّ، ويُخرِجُ صاحِبَه - وإن كان سُنيًّا - إلى البدعةِ؛ لأن أوَّلَ ما يَدخلُ على السُّنيِّ مِن النقصِ في دينِه إذا خاصَمَ المبتدع:

١- مُجالستُه للمبتدعِ، ومناظرتُه إيَّاه.

٢- ثم لا تأمنُ أن يُدخِلَ عليه من دقيقِ الكلامِ، وخبيثِ القولِ ما يَفتنُه.

٣- أو لا يفتِنُه؛ فيحتاجُ أن يَتكلَّفَ له مِن رأيه ما يرُدُّ عليه قولَه ما ليس له أصلٌ في التأويلِ، ولا بيانٌ في التنزيلِ، ولا أثرٌ مِن أخبارِ الرسول ﷺ. اهـ

٧١١ - أليس قد أخبرتُك بقول الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال له القائل: يا أبا سعيد، تعالَ حتى أُخاصمك في الدين.

فقال له الحسن: أما أنا فقد أبصرتُ ديني، فإن كنت قد أضللت دينك، فالتمسه.

٧١٢- وأخبرتك بقول مالك حين جاءه بعض أهل الأهواء، فقال له: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاكٌّ، فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه.

فهل يأتي في جواب المخالف من جميع الحُجج حُجَّة هي أسخن لعينه، ولا أغيظ لقلبه من مثل هذه الحُجَّة والجواب ؟

٧١٣- أما سمعت قول مصعب بن سعد: لا تُجالس مفتونًا، فإنه لن يُخطئك إحدى اثنتين:

أ- إما أن يفتنك فتتبعه.

ب- وإما أن يؤذيك قبل أن تُفارقه.

٧١٤- وأيوب السختياني حين قال له الرجل: أكلمك بكلمة، فولَّى عنه، وأشار بإصبعه، وقال: ولا نصف كلمة.

٧١٥- وعبدالرزاق حين قال لابن أبي يحيى: القلب ضعيف، وليس الدِّين لمن غلب.

٧١٦- حدثنا أبو طلحة أحمد بن محمد الفزاري، قال: حدثنا عبدالله بن خُبيق، قال: حدثنا عبدالله بن داود، قال: قال الأعمش: السُّكوت جواب.

٧١٧- حدثنا ابن دُريد، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: سمعت شبيب بن شيبة يقول: من صبر على كلمةٍ : حسمها، ومن

أجاب عنها: استدرَّها[١].

فإن كنت ممن يريد الاستقامة، ويؤثر طريق السَّلامة، فهذه طريق العلماء، وسبيل العقلاء، ولك فيما انتهى إليك من علمهم وفعلهم كفاية وهداية.

وإن كنت ممن قد زاغ قلبه، وزلَّت قدمه، وأنت متحيزٌ إلى فئة الضلالة، وحزب الشيطان، قد أنست بما استوحش منه العقلاء، ورغبت فيما زَهِدَ فيه العلماء، قد جعلت القوم بطانتك وخزانتك، قد استبشرت جوارحك بلقائهم، وأنس قلبك بحديثهم، فقد جعلت ذريعتك إلى مجالستهم، وطريقك إلى محادثتهم، أنك تريد بذلك مُناظرتهم، وإقامةَ الحُجَّة عليهم، وردّ بالهم إليهم، فإن تكُ بَهرجَتُكَ خفيت على أهل الغفلةِ من الآدميين، فلن يخفى ذلك على من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

٧١٨- حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن الراجيان، قال: حدثنا أبو نصر فتح بن شخْرف، قال: حدثنا عبدالله بن خُبَيق، قال: بلغنا أن الله ﷻ أوحى إلى موسى: يا موسى، قل للمُبَهْرِجِ عليَّ دِينَه: ميعادُ ما بيني وبينك الكَوْر، والسّبّاكُ مَلِكٌ[٢].

---

(١) قال أبو عُبيد رحمه الله في «غريب الحديث» (٢/ ٢٥٧): (الحسم): أصله القطع، ومنه قيل: حسمت هذا الأمر عن فلان أي قطعته. اهـ

وقوله: (استدرها): أي كثرها، ومنه قولهم: استدرَّ اللبن والدمع: أي كثر. «تاج العروس» (١١/ ٢٧٩).

(٢) (المبهرج): البهرج: الباطل والردئ من الشيء، يقال: درهم بهرج. «الصحاح» (١/ ٣٠٠).

و(الكور): مجمرة الحداد المبنية من الطين التي توقد فيها النار. «تاج العروس» (١٤/ ٧٤).

(والسبّاك): هو الذي يسبك المعادن من الذهب والفضة فيسبكها ويعرف الصالح منها.

والذي يظهر: أنه شبه النار يوم القيامة بكير الحداد، فيوم القيامة سيظهر المزيف والرديء

٧١٩- حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن الفضل، قال: سمعت مُصعب بـن عبـد الله الزبيري ينشد:

أأقعُـدُ بعدما رَجَفَتْ عِظَامِي … وكـان الموتُ أقربَ ما يَليني
أُناظِرُ كلَّ مُبتَدِعٍ خَصِيـمٍ … وأجعـلُ دِينَهُ عَرَضًا لِدينِي
فأترك ما عَلِمتُ لِرَأيِ غَيري … وليسَ الرَّأيُ كالعِلمِ اليَقِينِ
وقـد سُنَّتْ لنَـا سُنَنٌ قِـدامٌ … يَلُحْـنَ بِكُـلِّ فجٍّ أو أحِينِ [1]
وما أنا والخُصُومَة وهيَ لبسٌ … تفرّقَ في الشِّمالِ وفي اليَمِـينِ
ومَا عوَضٌ لـها مِنهاجُ جَهـمٍ … بمنـهَاجِ ابـنِ آمِنةَ الأمِـينِ

٧٢٠- أملى عليَّ أبو عمر النحوي، وقرأته عليه، قال: حدثنا المُـبَرَّد، قـال: أنشدني الرِّياشي لمحمد بن بشير يعيب المُتكلِّمين:

يا سائلي عن مقالةِ الشِيَعِ … وعن صُنوفِ الأهواءِ والبدعِ
دع من يقودُ الكلامَ ناحيةً … فمـا يقـودُ الكـلامَ ذو وَرَعِ
كل أُناسٍ بَديُّهُم [2] حسنٌ … ثم يَصيرون بعدُ للشّنعِ [3]

من الناس الذي كان يظهر الإيمان والصلاح ويبطن الكفر والنفاق، والله أعلم.

(١) (الفجُّ): الطَّريق الواسِعُ في قُبُل جَبَلٍ ونحوه، ويُـجمع: فجاجًا. «العين» (٦/ ٢٤).
وقوله: (أحين) كذا في الأصل، وفي «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٨٥)، واللالكائي (٣٠٨): (أو وجين)، والوجين: الأرض الغليظة الصلبة.
وفي «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٧٦)، و«تاريخ حلب» (٢/ ١٢٨٢): (أو وضين).

(٢) أي: أول أمرهم. وفي المختصر: (بربهم).

(٣) في الأصل: (للشيع)، وما أثبته من «الكامل» لابن المبرد (٢/ ١٣).

أكثرُ ما فيه أن يُقالَ له لمْ يَكُ في قولهِ بمُنقطعِ

٧٢١- **حدثنا** حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: قال الحسن بن عبدالعزيز الجرويُّ، كان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء، ويقول: أحدهم إذا خالفه صاحبه قال: كفرت، والعلم إنما يقال فيه: أخطأت.

٧٢٢- **حدثنا** حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: أخبرني حرملة، قال: سمعت الشافعي يقول: لم أرَ أحدًا من أصحاب الأهواء أبهت في الدعوى ولا أشهد بالزُّور من الرافضة.

٧٢٣- **قال الشيخ:**

فإن قال قائل:

فهذا النهي والتحذير عن الجدل في الأهواء، والمُمَاراة لأهل البدع قد فهمناه، ونرجو أن تكون لنا فيه عِظة ومنفعة.

فما نصنع بالجدلِ والحِجَاج فيما يعرض من مسائل الأحكام في الفقه، فإنا نرى الفقهاء وأهل العلم يتناظرون على ذلك كثيرًا في الجوامع والمساجد، ولهم بذلك حلقٌ ومجالس؟

فإني أقول له:

هذا لست أمنعُكَ منه؛ ولكني أذكر لك الأصل الذي بنى المسلمون أمرهم عليه في هذا المعنى، كيف أسَّسوه ووضعوه، فمن كان ذلك الأصل أصله، وهو قصده ومُعَوَّله، فالحِجاج والمُناظرة له مباحة، وهو مأجور، ثم أنت أمين الله على نفسك، فهو المُطَّلع على سرِّك.

فاعلم - رحمك الله - أن أصل الدين : النصيحة، وليس المسلمون إلى شيءٍ من وجوه النصيحة أفقر ولا أحوج ولا هي لبعضهم على بعضٍ أفرض ولا ألزم من النصيحة في تعليم العلم الذي هو قوام الدين وبه أُدِّيت الفرائض إلى رب العالمين.

فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام:

أ- تصحيح النية بالنَّصيحة.

ب- واستعمال الإنصاف والعدل.

ج- ومراد الحق الذي به قامت السموات والأرض.

فمن النصيحة : أن تكون تُحبُّ صواب مناظِرك، ويسوؤك خَطَؤه، كما تحبُّ الصواب من نفسِك، ويسوؤك الخطأ منها.

فإنك إن لم تكن هكذا كنت غاشًّا لأخيك، ولجماعة المسلمين، وكنت مُحبًّا أن يُخطأ في دين الله، وأن يُكذَبَ عليه، ولا يُصاب الحقُّ في الدين ولا يُصدَّق.

فإذا كانت نِيَّتُك أن يسرّك صواب مناظِرك، ويسوءك خطؤه، فأصاب وأخطأت لم يسؤك الصواب، ولم تدفع ما أنت تُحبُّه، بل سرَّك ذلك، وتتلقَّاه بالقبول والسرور، والشُّكر لله ﷻ حين وفَّق صاحبك لما كنت تُحبُّ أن تسمعه منه.

فإن أخطأ ساءك ذاك، وجعلت همَّتك التلطّف لتزيله عنه؛ لأنك رجلٌ من أهل العلم، يلزمك النصيحة للمسلمين بقول الحقِّ، فإن كان عندك بذلته، وأحببت قبوله، وإن كان عند غيرك قبلته، ومن دلَّك عليه شكرت له.

فإذا كان هذا أصلك، وهذه دعواك، فأين تذهبُ عما أنت له طالبٌ، وعلى جمعه حريصٌ، ولكنك والله - يا أخي - تأبى الحق، وتنكره إذا سبقك مُناظرك إليه، وتحتالُ لإفساد صوابه، وتصويب خطئك، وتغتاله، وتُلقي عليه التغاليط، وتظهر التشنيع، ولا سيما إن كان في عينك وعند أهل مجلسك أنه أقلّ عِلمًا منك، فذاك الذي تجحدُ صوابَه، وتُكذِّب حَقَّه.

ولعل الأنفة تحملك إذا هو احتجَّ عليك بشيءٍ خالف قولك، فقال لك: قال رسول الله ﷺ، قلت: لم يقله رسول الله، فجحدت الحق الذي تعلمه، ورددت السُّنة.

فإن كان مما لا يمكنك إنكاره أدخلت على قول رسول الله ﷺ عِلّة تُغيِّر بها معناه، وصرفت الحديث إلى غير وجهه.

فإرادتك أن يُخَطَّأ صاحبك : خطأٌ منك.

واغتمامك بصوابه : غشٌّ فيك، وسوء نيَّةٍ في المسلمين.

فاعلم - يا أخي - أن من كَرِه الصواب من غيره، ونصر الخطأ من نفسه : لم يؤمن عليه أن يَسلُبَه الله ما علّمه، ويُنسيه ما ذكّره، بل يخاف عليه أن يَسلُبَه الله إيمانه؛ لأن الحق رسولٌ من الله إليك افترض عليك طاعته، فمن سمع الحق فأنكره بعد علمه له : فهو من المُتكبِّرين على الله، ومن نصر الخطأ : فهو من حزب الشيطان.

فإن قلتَ أنت الصواب، وأنكره خصمك، وردَّه عليك : كان ذلك أعظم لأنفتك، وأشد لغيظك وحَنَقِك وتشنيعك وإذاعتك، وكل ذلك مخالف للعلم، ولا موافق للحقِّ.

٧٢٤- بلغني عن الحسن بن عبدالعزيز الجروي المصري، أنه قال: سمعت

الشافعي، يقول: ما ناظرتُ أحدًا قطّ، فأحببت أن يُخطئ، وما في قلبي علم إلَّا وددتُ أنه عند كل أحدٍ، ولا يُنسب إليَّ.

٧٢٥- **وبلغني** عن حرملة بن يحيى، قال: سمعت الشافعي يقول: ودِدت أن كل علمٍ أعلمه يعلمه الناس، أؤجر عليه، ولا يحمَدونني.

٧٢٦- **وحدثني** أبو صالح محمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو الأحوص، قال: سمعت حسنًا الزعفراني، يقول: سمعت الشافعي يحلف وهو يقول: ما ناظرت أحدًا قطّ إلّا على النصيحة، وما ناظرت أحدًا فأحببت أن يُخطئ.

أفهكذا أنت - يا أخي - بالله عليك ؟! إن ادعيت ذلك فقد زعمت أنك حَبْرٌ من الأحبار، وبَدَلٌ من الأبدال.

والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يناظرون مغالبةً لا مُناظرة، ومكايدةً لا مناصحةً، ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كَثُرَ وانتشر في كثير من البلدان.

فمما يظهر من قبيح أفعالهم وما يبلغ بهم حب الغلبة ونصرة الخطأ :

أن تحمرَّ وجوههم، وتَدُرَّ عروقهم، وتنتفخ أوداجهم، ويسيل لعابُهم، ويزحف بعضهم إلى بعضٍ، حتى ربما لعن بعضهم بعضًا، ورُبما بزق بعضهم على بعضٍ، ورُبما مدَّ أحدهم يده إلى لحية صاحبه.

ولقد شهدت حَلقة بعض المُتصدِّرين في جامع المنصور، فتناظر أهل مجلسه بحضرته، فأخرجهم غَيظُ المُناظرة، وحميَّةُ المُخالفة إلى أن قذفَ بعضهم زوجة صاحبِهِ ووالدته !

فحسبُك بهذه الحال بشاعةً وشناعةً على سفلِ الناس وجهّالهم، فكيف بمن تسمَّى بالعلم، وترشَّح للإمامة والفُتيا !

ولقد رأيت المُناظرين في قديمِ الزمـان وحديثـه : فـا رأيـتُ ولا حُـدِّثتُ، ولا بلغـني أن مُختلفـين تنـاظرا في شيءٍ ففلجـت حُجَّـة أحدهما وظهر صوابه، وأخطأ الآخر وظهر خطأه، فرجـع الـمُخطئ عن خطئه، ولا صبَا إلى صواب صاحبه، ولا افترقا إلَّا على الاختلاف والمُباينة، وكل واحدٍ منهما مُتمسِّكٌ بما كان عليه، ولرُبما علـم أنـه على الخطأ، فاجتهد في نُصرته.

وهذه أخلاق كلها تُخالف الكتاب والسُّنة، وما كان عليه السَّلف الصالح من علماء الأُمَّة.

٧٢٧- **سمعت** بعض شيوخنا رَحِمَهُ اللهُ يقول: الـمُجالسة للمُناصحةِ فـتحُ بـاب الفائدة، والمُجالسة للمُناظرةِ غلقُ بابِ الفائدة.

حسبك بهذه الكلمة أصلًا ترجع إليه، وتَحمل أمورك كلهـا عليـه، وبما حكيته لك من أفعال المُناظرين، وسوء مذاهبهم عارًا تأنف منه، وتنأى عنه.

٧٢٨- **حدثنا** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، عن أبي علي محمد بن سعد بن الحسن، عن الأسود البوشجاني، قال: قال مساور الورّاق:

كنا من العلمِ قبل اليومِ في سَعَةٍ ... حتى ابتُلينا بأصحابِ المقاييسِ
قومٌ إذا ناظروا ضَجُّوا كـأنهُمُ ... ثعالبٌ صوَّتت بين النواويسِ (١)
أمّا العُريبُ فقومٌ لا عطاءَ لهم ... وفي الموالي علاماتُ المفاليس
قاموا عن السُّوق إذ قلت مكاسبهم ... وأحدثوا الرأي والإقتارَ والبوسِ

قال أبو بكر: العُريبُ: تصغيرُ العرب.

---

(١) (نواويس): مقبرة النَّصارى. «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٦٢).